

سلسلة (عقائد البلاء)

٣ - حقائق البلاء

لفضيلة الشيخ / سمير بن مصطفى

الصفحة الرسمية والوحيدة

www.facebook.com/shSamirmostafa

مسجد الهداية - الحلمية الجديدة

٢ صَفَر ١٤٣٥ هـ

٦ ديسمبر ٢٠١٣ م

الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ تَعَالَى نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُ بِهِ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ

فلم نزل أيتها الإخوة تطوف في بستان سورة البروج حيث عقائد الابتلاء و البلاء أيتها الإخوة من جملة الفتن و الفتنة إن أتت تقتات ما في القلب و قوت القلب و خزينه هو الإيمان فالفتنة تقتات الإيمان و تأكله حتى و ربما وجدت الكامل إذا دخل في الفتنة خرج بين النقص والله عز وجل هو الموفق للصواب - سبحانه و بحمده - نسال الله عز وجل أن يقينا و يياكم الفتن ما ظهر منها و ما بطن - إن القلب إذا قام أيتها الإخوة بهذه العقائد علما و عملا و فقها و تعمقا فإنه يقوم لتلك الفتن فيخرج منها كما دخل بل ربما خرج منها أفضل مما دخل ، و سورة البروج سورة لافتنه للنظر كما كررت في اللقاءين الفائتين حيث لم يسهب الله عز وجل و قد أطيبت سبحانه و بحمده في طول الكتاب و عرضه لكنه لم يسهب في عذاب أمة كما أسهب في عذاب أصحاب الأخدود و لعل ذلك لبشاعة الشأن الذي عذبوا به أو لعله لإبادة أمة مؤمنة كاملة حيث قال الله عز وجل مخبرا و في طي الخبر نعى ﴿قَتَلَ أَصْحَابِ الْأَخْدُودِ﴾ [البروج: ٤].

هذه الآية و تلك اللفظة التي تُذكر كل من درس التاريخ بأصحاب الأخدود و بحكايتهم و قلت كما في اللقاءين الفائتين أنني لا أستطيع أن أعرج على عقائد التي ذيل الله عز وجل بها هذه السورة على هذه الحادثة لا أستطيع أن أدلف إليها إلا إذا ذكرت لك قصة أصحاب الأخدود و إنما ارتبط فيها بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهو الذي قطع معانا اللقاءين الفائتين و لم يزل في الحديث فوائت إلا أننا نريد أن نخرج و ندلف إلى ما أردنا أن نخرج عليه عقائد البلاء أود القلب و قوت القلب لاسيما في هذه الآونة التي صارت العقائد فيها مجرّد فكرة ربما يُسمح فيها للمخالفة و المناقشة و ربما المماحكة و المهارشة تأمل جيدا في أيام الفتنة يحتاج المرء إلى قلب - نسال الله عز وجل أن يقيم قلوبنا ، أيتها الإخوة و أن يُسهّل علينا الإخلاص و أن يُلين لنا التوحيد حتى يصير سجيّة - تأمل و في عيون ما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم و كل كلامه في العين صلى الله عليه وسلم أنه كان يُدمج كما ذكرت في اللقاءين الفائتين بين حديثين و كان يُكرّر هذا بل ربما لم يذكّر

عقائد البلاء ٣

حديث الأخدود هذا بقرده أبداً وذلك بموجب رواية الترمذي فيما ثبت عنه **رَحْمَةُ اللَّهِ** في سننه عن صهيب الرومي أيضاً **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** حيث قال كان رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** (إذا صَلَّى العصر همس - يعني حرك شفتيه بكلام لم ينطق فيه يعني لم يخرج صوتاً - فقلنا يا رسول الله نراك تهمس فقال إن نبياً من أنبياء الله **عَزَّجَلَّ** نظر يوماً إلى قومه فأعجبه عددهم - أعجبهم كثرتهم - فأعجبه عددهم فأوحى الله **عَزَّجَلَّ** إليه أن خيرهم بين أن تنزل بهم نقي و القتل وبين أن أسلط عليهم عدواً من غيرهم فاختاروا الثَّغْمَةَ فمات سبعة ألفاً منهم في ساعة من النهار ثم كان رسول الله إذا ذكر هذا الحديث عرج و ذيل عليه يقول : كان فيمن كان قبلكم (ملك) و يذكر حديث الأخدود و الرابط أيها الإخوة بين الحديثين كما ذكرت و أذكر هذا ينبغي أن يقرر فإن حساب اليوم بالعدد و كلما نظر القوم إلى عددهم فكأثروهم اطمئنوا و الأمر ليس كذلك إنما هو كما قال علي **رَحْمَةُ اللَّهِ** : حينما جاءه سائل فسأله و قال : كم المسافة بين الأرض و العرش ؟ فقال : دعوة متقبلة يطويها الله **عَزَّجَلَّ** بها المراحل و يختصر بها الأيام نريد صالح يأخذ بكل الأسباب و إنما لا نريد من يأخذ بالأسباب و لا ينظر إلى موضع صلاحه و لا ما يريده هو و يصبو إليه إنه وضع قدمك حيث ينبغي سواء كان ذلك في الرخاء أو كان ذلك في الشدة و هذا أيها الإخوة هو موضع صلاح القلب من فساده كما قال ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ** : (فإن من علامات صلاح القلب النطق بالحق و اتباع الحق و لو خالف ذلك الناس جميعاً) و ذكر أثر إسحاق بن راهويه **رَحْمَةُ اللَّهِ** و سئل في مسألة فأفتى فقيل له يقول بها أخوك أحمد بن حنبل فقال : أهكذا والله ما ظننت أن أحداً يقول بها غيري قط و مع ذلك قال بها لأنه رآها هي الحق و لا ينبغي أن نقرر الحق لينبغي أن الحق يكون غريباً ينبغي أن يكون عدده قليل لا أبداً و لكن إذا حدث ذلك فينبغي أن تقوم به و لا يضرك قلة السالكين إنه النوع أمة أبيت في ساعة من نهار لا تعرف عنهم لا رسماً و لا شكلاً و لا هيئة ذلك لأننا لا ننظر إلى نوع ، أمة دخل في عددها الإعجاب و أمة أخرى هي ثلاثة نفر فقط : جليس الملك و الراهب و الغلام أحيا الله **عَزَّجَلَّ** بهم أمة و صاروا أسطورة لولا أن القرآن هو الذي أكد عليهم لظن المرء أنها من حكايات الأولين التي تنسج من جملة الخيالات و المخاريق و من جملة ما يصبو إليه الفكر في ساعة ليل دامس تأمل جيداً إنه النوع أيها الإخوة كثر عدده أو قل النوع ، نوع المؤمن السالك هيئة المؤمن السالك أصول المؤمن السالك تلك التي لا تتغير و لا تبدل نظن الجبل يتحرك و لا نظن أن عقيدتها تتحرك و لا نظن ، قال بعض أصحاب النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** : (و الذي نفسى بيده لو كتب الله **عَزَّجَلَّ** علينا أن نخرج من ديارنا أو لنقتل عيالنا لفعلنا إلا أن عافية الله **عَزَّجَلَّ** أحب إلينا) فقال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** و قد بلغه إن الإيمان في قلوب بعض أصحابك الجبل لا يتزعزع أو كلمة نحوها تأمل جيداً دمج الحديثين للتأكيد على هذه الفائدة ، النوع ، من أنت و ما أنت و ما تريد و ما طريقك و ما الذي تصبو إليه فلا تتنازل عنه طرفة عين أنت تدري و تعرف ما هو الذي يجوز فيه النقاش و المهارشة و ما هو الذي ليس من وراءه خرط الفتات ، تأمل جيداً ذكرت قصة أصحاب الأخدود و بقي أن نعرض على حقائق ذكرها الله **عَزَّجَلَّ** في سورة البُرُوج قبل أن نعرض على العقائد التي افتتحها الله **عَزَّجَلَّ** بقوله ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ [البروج: ١٢] عقائد كما قلت إن قام القلب بها وقف أمام الفتن لكن هناك حقائق ينبغي أن تقرر لماذا عادى هؤلاء أصحاب الأخدود ؟ لماذا اعتزل الراهب الناس ؟ لماذا صل أكثر الناس ؟ لماذا قتلت أمة برمتها ؟ عقائد و حقائق ، و الحقائق من جملة العقائد ينبغي أن تدرس و ينبغي للمرء أن يعرفها و أثر لعلي أكثر من تلاوته حين تصير الحواس لا تتحرك إلا بما يرضى الله **عَزَّجَلَّ** عندها لا تخترق ، تأملوا أيها الإخوة يوم كثر عدد المشركين ، عدد الروم يوم اليرموك و جاء رجل فقام إزاء خالد و قال : انظر إلى جموع الروم ما كنت أتخيل - كأنه يريد أن يقول هذا ما كنت أتخيل أن قوماً يحشدون هذا الحشد و يكثرُونَ بهذه الكثرة - ما كنت أظن ، عدّة و عتاد وعدد فنظر إليه خالد و قال : (و يلك أخوفني بالروم ؟) هي دى الأصول من كان عنده أصل لا يتحرك عنه و لا يتزعزع لا يعطيه الواقع معطيات يكون بموجبها بل يسبق هو الواقع كأنه يقول إن حدث فحلّه كذا و كذا يسبق ما يحدث

عقائد البلاء

في الواقع من مقادير هكذا من تنور بكتاب الله **عَزَّجَلَّ** و سُنَّةِ رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** و تابع آثار أسلافنا الأماجد قال: (انخوفني بالروم؟ و الذي نفسي بيده لو ددت أن الأشقر -فرسه- براء من مرضه وأضعفت علينا الروم) ليه؟ لأن عندى أصل، إنَّ المخذول لمن خذله الله فالنصر والهزيمة والتقدم والتأخر والحركة والسكون كل في السماء وإنما يقدره الله **عَزَّجَلَّ** و يأذن فيه فإنَّ أذن في شيء ما منعه أمَّة برمتها تصافرت وإن منع شيئاً ما أجازته أمَّة برمتها وإن تصافرت رفعت الأقلام وجفت الصحف هل تؤمن بمثل هذا؟ حقائق، حقائق أيها الإخوة هي من جملة العقائد والمهمَّة لها.

سورة البروج فيها حقائق قبل العقائد فيها حقائق أيها الإخوة نتأمل هذه الحقائق حينما انتهى وصف الله لتعذيبهم **﴿النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ﴾** **﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾** [البروج: ٥-٦] أشعل لهم الاخدود نارا حتى أضرمت جنَّاته فكانت قطعة الأرض هذه صارت جذوة نار من شدة النار التي أضرمت ثم ألقى الناس فيها فجئوا فيها فعود فكانه وصف لهؤلاء الذين عذبوا، وقيل كما قال بعض المفسرين: الذين يوصفون بالقعود هنا هم الطغاة الجلاوة الذين جلسوا على فوهة الأخدود ينظرون إلى المعدَّين وهم يعدَّبون و كما سأذكر لك لماذا إلى هذا الحدِّ على الأقلِّ على قول بعض أهل التفسير انتهى وصف الله **عَزَّجَلَّ** لتعذيبهم ثم شرع الله **عَزَّجَلَّ** ينورك بالحقائق لماذا يعادوننا قال الله **عَزَّجَلَّ**: **﴿وَمَا نَقْمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾** [البروج: ٨] تأمل جيِّداً وأصغِ أذن قلبك - نسأل الله **عَزَّجَلَّ** أن يعرفنا القرآن وأن يعلمنا القرآن وأن يفهمنا القرآن تأمل جيِّداً **﴿وَمَا نَقْمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾** [البروج: ٨] إذن، فالقوم في قلوبهم نعمة ما هي هذه النعمة؟ **﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾** [البروج: ٤] فقد ذهب بعض أهل التفسير إلى أن قوله تعالى **﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾** [البروج: ٤] خبر، وذهب بعضهم إلى أنه دُعاء، يعنى الخبر قتل أصحاب الاخدود عن بكرة أبيهم اعلمو هذا، وذهب بعضهم إلى أنه دعاء عليهم أى قال الله **عَزَّجَلَّ**: أننى غضبت عليهم ما إن فعلوا فعلتهم تلك، غضبت عليهم ووقعوا منى موقع العذاب موقع العذاب الذى لا مدفع له ولا رادَّ له كما قال الله **عَزَّجَلَّ**: **﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ﴾** [عبس: ١٧] وهو دُعاء على الكافر منهم و كما قال الله **عَزَّجَلَّ**: **﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾** [الذاريات: ١٠] وفى هذا معنى أنهم مهما تشدَّقوا بجحجج واهيات عند أصحاب الأصول أنه ما نقيم منك لشخصك ولا يكرهك ولا يحقد عليك ولا يريد منك، مهما قال لا تُصدقه فإنَّ الله **عَزَّجَلَّ** بين أنَّهم عليك فى نقيمه وفى حقد وفى حسدٍ وظهر هذا الحقد والحسد فى غير ما موضع من الشريعة كما قال الله **عَزَّجَلَّ**: **﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾** ليه؟ **﴿حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾** [البقرة: ١٠٩] و قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: (ما حسدتكم يهود مثل ما حسدتكم على التَّأمين و وضع اليمين على اليسرى فى الصَّلَاة) قومٌ حسد، قومٌ يحسدون و يحقدون، فداخلهم مظلم لذلك قعدوا على النار يتشَقَّقون، ينظروا إليهم وهم فيها يمتحشون و جلودهم تذوب و تسيح فيدخل جلد هذا فى جلد ذاك و عظم هذا فى عظم ذاك فينفجر بما تئنُّ له الجبال الرُّواسى و ينقصم لهول منظره الحجر القاسى ولكن قست قلوبهم فهي كالجاراة بل أشدَّ نعمةً وحسداً لذا قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: (إياكم والشح - وهو الحسد العميق - فإنه أهلك الذين كانوا من قبلكم حملهم على أن سفكوا دماهم) قتل بعضهم بعضاً بل كذبوا بالدين الذى يعرفونه يقيناً لأجل الحقد والحسد كما ذهب حيي بن أخطب وأخوه ياسر فلما أتيا إلى رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يوم دلف إلى المدينة فأضاء بدخوله كل شيء فنظر إليه ثم حدث أحدهما الآخر فقال: أهو هو؟ لأنه موجود فى كتابهم وعجب أن يقسوا قلب قوم فيحرقوا كتابهم بأيديهم و يتمسكون به، وأن يرق قلب قوم فيحافظون على كتابهم و يجهلون ما فيه عجب أيها الإخوة - نسأل الله **عَزَّجَلَّ** أن يُمسكنا بكتابيه حتى نلقاه - تأمل قال أهو هو؟ يعنى هو الذى نقرأ عنه فى كتبنا قال: هو هو قال: أهو بصفتيه قال: هو بصفتيه بعينه وأشفاره، بأنفه وأرنبته، بقميه وشفتيه، هو هو بالتدقيق، قال فما تصنع معه؟ قال عداوته ما حييت. وقد علم الحق، عداوته

عقائد البلاء ٣

ما حَيِّيتَ ليه ؟ لأنه ليس من صَمِيم يَهُود وإِنَّمَا خَرَجَ من العَرَب ، تأملَ جيداً تلك العَصَبِيَّات التي أَذَابَهَا التَّوْحِيدُ بَقَايَاهَا مَوْجُودَةً بِحَسَدٍ هُوَ هَذَا الحَسَدُ الَّذِي أَخْبَرَ عَنْهُ أَبُو جَهْلٍ بِمُنْتَهَى الصَّرَاحَةِ لِلْمِسُورِ بْنِ مَحْرَمَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** حينما قال: جَلَسْتُ لِأَبِي جَهْلٍ وَقُلْتُ: أَيْ خَالِي هَلْ كُنْتُمْ تُنْكِرُونَ عَلَى مُحَمَّدٍ شَيْئاً قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَقَالَتَهُ؟ كُنْتُمْ تَكْذِبُونَهُ أَوْ تُضَلِّلُونَهُ؟ قَالَ: لَا يَا بُنَيَّ ، وَاللَّهِ مَا كَانَ فِينَا إِلَّا صَادِقًا قَالَ: فَمَا بِالْكُفِّ تَكْذِبُونَهُ الْآنَ وَأَنْتِ تُثْنِي عَلَيْهِ بِالصِّدْقِ وَهَذَا بِضِدِّ ذَلِكَ وَلَا يَقْبَلُ الْعُقَلَاءُ الصِّدِّينَ ، فَقَالَ لَهُ بِمُنْتَهَى الصَّرَاحَةِ الَّتِي عَجَمَتْ عَنْ أَلْسِنِ الْقَوْمِ الْيَوْمَ قَالَ: بِمُنْتَهَى الصَّرَاحَةِ قَالَ: إِنَّا كُنَّا وَبَنُو عَبْدِ الْمَطْلَبِ فَرَسَنِي رِهَانًا ، أَطْعَمُوا فَأَطْعَمَنَا وَسَقَوْا فَسَقَيْنَا حَتَّى كَانَتْ فَرَسَنِي رِهَانًا فِي مِضْمَارِ سَبَقٍ ، جَثَيْنَا عَلَى الرُّكْبِ فَقَالُوا: مِمَّنَّا نَبِيٌّ فَأَتَى لَنَا بِمِثْلِهَا (هُوَ قَالَ: مِمَّنَّا نَبِيٌّ أَجِيبْ لَهُ مَنِ انَّا نَبِيٌّ) فَأَتَى لَنَا بِمِثْلِهَا فَكَذَّبَهُ وَدَخَلَ النَّارَ ، نَقْمَةٌ وَحَقْدٌ وَحَسَدٌ ، تَأْمَلُوا جِيدًا ، نَقْمَةٌ وَحَسَدٌ حَتَّى خُتِمَ الْحَدِيثُ بِعَجَبِيَّةٍ خُتِمَ الْحَدِيثُ بِامْرَأَةٍ تُدْفَعُ لِلْأَخْدُودِ وَتَأْمَلُ جِيدًا،

ففيه إشارةٌ بَلَجَاءِ فَإِنَّهُنَّ أَصْحَابُ جِنَاحٍ مَهِيضٍ ، إِذَا مَالَ الْمَرْءُ عَلَيْهِنَّ قُوَّضَ مُلْكُهُ لَذَا خُتِمَ الْحَدِيثُ بِهَا رُفِعَ الْعَذَابُ عَنْ الْقَوْمِ بِالْمَرْأَةِ وَظَهَرَتِ الْكَرَامَةُ لِلْمَرْأَةِ وَلَمْ تَظْهَرْ الْكَرَامَةُ لِأَحَدٍ قَطُّ أَلْقَى أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ جَمِيعًا فِي الْأَخَادِيدِ مَا ذَكَرَ الْحَدِيثُ عَنْهُمْ شَيْئًا أَمَّا الْكَرَامَةُ فَكَانَتْ لِهَذِهِ الْمَرْأَةِ ثُمَّ جَاءَتْ امْرَأَةٌ مَعَهَا طِفْلُهَا لِرِقَّةٍ قَلْبِهَا وَهُوَ مَوْضِعُ الْعَجَبِ فَالرَّجَالُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَقْوَى وَأَقْوَمَ وَمَعَ ذَلِكَ تُفَضِّلُ الْمَرْأَةُ لَتِلْكَ التُّكَّةَ ، جِيءَ بِالْمَرْأَةِ وَمَعَهَا طِفْلُهَا تَحْمِلُهُ الرِّضِيعُ فَأَخَذُوا طِفْلَهَا مِنْهَا فَتَشَبَّثَتْ بِهِ بِوِازِجِ الْأُمُومَةِ ، كَانَتْ الْأَرْضُ تَنْفَجِرُ حَوْلَهَا نَارًا وَمَا تَرَكَتْ وَلَدَهَا ، وَازِغَ الْأُمُومَةُ الْوَافِرَ فَلَمَّا دَلَّغَتْ إِلَى النَّارِ أَرَادُوا أَخَذَ وَلَدَهَا فَتَشَبَّثَتْ بِهِ وَتَمَنَّعَتْ فَتَنَطَّقَ ابْنُ الْأَيَّامِ قَائِلًا: اصْبِرِي يَا أُمُّهُ فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ فَخُتِمَ الْحَدِيثُ بِهَا ، تَأْمَلُ جِيدًا هِيضَ مُلْكُ الرَّجُلِ لِمَاذَا هِيضَ مُلْكُهُ يَأْتِي بِمَعْنَى قُتِلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ فِي طَيِّ وَمَا نَقَمُوا بِمَعْنَى الْخَبَرِ فِي نِقْمَتِهِمْ الْخَبَرُ ، لِمَاذَا قُوَّضَ مُلْكُهُ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ؟ لِأَسْبَابٍ ، مِنْ هَذِهِ الْأَسْبَابِ : تِلْكَ الْمَرْأَةُ ، قَالَ النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** آخِرَ مَا قَالَ كَمَا فِي الصَّحِيحِينَ : عَنْ عَائِشَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** قَالَتْ: خَرَجَ النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** تَخْطُ رِجْلَاهُ الْأَرْضَ مِنْ شِدَّةِ الْإِعْيَاءِ الْعَبَّاسُ يَحْمِلُهُ مِنْ جَانِبٍ وَيَحْمِلُهُ آخَرُ مِنْ جَانِبٍ آخِرُ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ هُوَ عَلَى رِضَى اللَّهِ عَنِ الْجَمِيعِ فَقَعَدَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَى الْمَنْبَرِ وَأَوْصَى وَصَاتِهِ الْأَخِيرَةَ وَهُوَ يُودِّعُ أُمَّتَهُ فَكَانَ مِنْ آخِرِ مَا قَالَ: (وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ) أَيْ أَسِيرَاتُ ضُرِبَ هَذَا الْوَصْفُ عَلَى الْمَرْأَةِ أَنَّهَا مَهِيضَةُ الْجِنَاحِ مَكْسُورَةُ الْجَانِبِ لَا تُحْسِنُ تُعَرِّبُ عَنْ مَا تُرِيدُ ، سَلَاخُهَا فِي دَمْعِهَا وَقُوَّتُهَا فِي ضَعْفِهَا وَعِزَّتُهَا فِي انْكِسَارِهَا وَهِيَ مِلْكُ يَدِكَ لِذَلِكَ لَا تَصْلُحُ بَغِيرَ وَلِيٍّ يَقُودُهَا ، وَمِنْ ثَمَّ كَانَ الْأَمْرُ عَلَيْهَا حَوِيْطًا مُحَاطًا تَأْمَلُ جِيدًا حِينَ قَسَتْ الْقُلُوبَ ظَهَرَ ذَلِكَ عَلَى صَاحِبَةِ الْقَلْبِ الْمَهِيضِ تِلْكَ ، فَدَفَعُوهَا إِلَى النَّارِ تِلْكَ الْمَرْأَةُ الَّتِي كَانَتْ تُنَزَّرُ الْحُرُوبُ قَدِيمًا عَنْهَا قَالَ أَبُو دُجَانَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** حِينَمَا كَانَ فِي يَوْمٍ أُحْدِثَ النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** سَيْفَهُ ذُو الْفَقَارِ ثُمَّ قَالَ : مَنْ يَأْخُذُ هَذَا السَّيْفَ فَيَقَامُ عَمْرًا وَيَقَامُ الزَّبِيرُ وَيَقَامُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَبْطَالِ ثُمَّ قَامَ أَبُو دُجَانَةَ بَيْنَهُمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: بِحَقِّهِ فَأَحْجَمَ الْقَوْمُ ، خَشِيَ أَحَدُهُمْ أَلَّا يَقُومَ بِحَقِّهِ الَّذِي لَا يَعْرِفُهُ ، وَمَا حَقُّهُ فَرَجَعُوا إِلَى وَرَاءِ وَدَخَلَ أَبُو دُجَانَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا حَقُّهُ؟ قَالَ: حَقُّهُ أَنْ تُضْرِبَ بِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يَنْتَنِي قَالَ أَبُو دُجَانَةَ: أَنَا آخِذُهُ بِحَقِّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ كَعْبٌ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي دُجَانَةَ : فَرَأَيْتُ رَجُلًا يَقُولُ : اتَّقُوا يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ كَمَا تَتَّقُونَ جُزُرَ الْغَنَمِ وَهُوَ يَقْتُلُ فِي الْمُسْلِمِينَ يَمَنَةً وَيَسْرَةً وَعَلَى مَدْرَجَتِهِ يَقُومُ أَبُو دُجَانَةَ قَدْ عَصَبَ رَأْسُهُ بِمَلَايَةِ حُمْرَاءٍ هِيَ عُصَابَةُ الْمَوْتِ فَلَمَّا اقْتَرَبَ الرَّجُلُ مِنْهُ صَرَبَهُ صَرْبَةً عَلَى رَأْسِهِ فَمَا تَرَكَهُ إِلَّا فِلَقَتَيْنِ فَلَمَّا سَقَطَ فِرْقَتَيْنِ عَلَى الْأَرْضِ نَظَرَ إِلَيَّ وَكَشَفَ لِقَامَهُ وَقَالَ يَا ابْنَ كَعْبٍ أَنَا أَبُو دُجَانَةَ كَيْفَ تَرَى هَلْ رَأَيْتَنِي فَارِسًا أَسْتَحِقُّ أَخَذَ سَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ؟ لَكِنْ انْظُرْ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ الْفَارِسِ الْبَاطِلِ حِينَمَا كَانَ يَصُولُ فِي الْمَعْرَكَةِ وَيَجُولُ فَوَجَدَ فَارِسًا مُلْتَمِثًا يَذْكُرُ مِنَ الشَّعْرِ شِعْرًا يُهَيِّجُ الْكَتَائِبَ فَيَدْلِفُ النَّاسَ زُرَاقَاتٍ وَوَحْدَانًا إِلَى سَاحَةِ الْمَعْرَكَةِ وَبُحَيِّحَاتِ الْوَعَى فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ يَرِيدُ أَنْ يَسْتَأْصِلَ شَافَتَهُ فَرَفَعَ سَيْفَهُ إِلَى أَعْلَى حَيْثُ الْمُكَنَّةُ مِنْ رَأْسِهِ ثُمَّ رَجَعَ الْقَهْقَرَى وَقَتْلَ غَيْرِهِ ، فَسُئِلَ رَأْيُنَاكَ تَعَمُّدًا إِلَى فَارِسٍ مُلْتَمِثٍ هُوَ الَّذِي كَانَ يُهَيِّجُ النَّاسَ فِي الْمَعْرَكَةِ

عقائد البلاء ٣

ثم أردت ضربه ورجعت حين أمكنت من رأسه فقال: وبمنتحي الوضوح حين رفعت سيفي عليه وجدته امرأة قد ولّوت (يعني صرخت) فلما ولّوت المرأة وعلمت أنها امرأة أجّلت سيف رسول الله أن أضرب به امرأة، نجعت الأمة وقامت على ساقها تأمل جيداً فإنها إشارة وعلامة، وللإنصاف أيضاً أقول وإن كنت أحجم وأجهم وأتردد كثيراً في قولتي تلك لأنّ جلد الذات وقت البلاء ليس من أصحاب الشيم والأخلاق، لكنّها بين قوسين خذوها (الحديث أنّ القوم حشروا إلى الأخاديد فدخلت المرأة رغمًا عنها فكأنه جيء بها ولم تجيء وبينهما فرق، إنّ المرأة تحاظ في الإسلام حيطة جعلتها وإن رأت القتال بعينها وقفت في موضع أمان كأنّها لا تقاتل، ودليل على ذلك وقد اتفقنا على الاعتصام بالوحيين، أنّ أمّ سلمة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**) أتت رسول الله يوماً فقالت: يا رسول الله استأثر الرجال بالجهاد فائذن لنا أن نجاهد في سبيل الله يا رسول الله فقال: لكنّ جهاد لا سيف فيه، الحجّ) وتأمل هذا جيداً فما فرض الحجّ إلا في العام الثامن الهجري في أوائل التاسع فيما قالوا بعض اهل العلم إذن فلم تعد أمّ سلمة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** أنها كانت في جهاد من لدن فرض الجهاد بالمدينة وإلى أن نزلت فريضة الحج التي أشار رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إلى جهادها فيها، فتأمل هذا جيداً لتعيّد ميزان الموقف، إنّ الانصاف عزيز والرؤية لا تكون إلا من الكتاب والسنة تأمل جيداً لكن في الجملة تقويض ملك يأتي على مهيض الجناح تلك نعمة أيها الإخوة نعمة من هؤلاء القوم وحقد وحسد: **﴿وَمَا نَقْمُوا مِنْهُمْ﴾** [البروج: ٨]

ما قاتلوهم ما أحرقوهم إلا لأجل عبادتهم فلما حارب العبادة قوّض ملك نفسه بمثل هذه المرأة التي أتت عليها وكذلك بقتله للناس جميعاً حينما تأملت موضع قتله قلت: قتل أصحاب الاخدود هكذا، ذهب الناس أدراج الرياح إني لأبحث عن انتصار الله **عَزَّ وَجَلَّ** وإني لموفق أنّ الله انتصر لهم في الدنيا أو الآخرة أو جميعهما فما هو الموضع أيها الإخوة فيتبين لك أنّ الدولة قوّضت لأنها وبمنتحي البساطة صارت عبارة عن ملك وجنود من حوله ولم يبق له رعية، لم يبق له أحد، وهذه لا تكون دولة لا تكون إمارة لا تكون رعية إلا بالناس؛ لذا جاء عقلاء شيعة فرعون إلى فرعون حينما قرّر قتل الدرية جميعاً من أبناء بني إسرائيل فقالوا: إني قتلتهم انقرضوا لم يعد لنا أحد وحينها من يخدمنا؟ فحينما سمع منهم هذا رضح، فكان يقتل عاماً ويذر الناس عاماً آخر تأملوا أيها الإخوة: **﴿وَمَا نَقْمُوا مِنْهُمْ﴾** [البروج: ٨] إذن الدافع الثمّة ليس لأي شيء آخر نعمة وقّرت في القلوب وهو ما كانت تصرّح به تلك الاعواد في الأيام الفاتية أنّ اختلاف المناهج ينبغي أن يرشح على اختلاف الأجساد لكنك طاوعت وتركت وتركتنا من ديننا الكثير لأجل تلك الموائمات فصار الأمر إلى ما ترى وكما قلت لا يصلح جلد الذات في الفتنة فليس من حسن الخلق تأمل: **﴿وَمَا نَقْمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾** [البروج: ٨] وخواتيم الآيات بأسماء الله الحسنى لها دلالتها والققص الذي تحبس

الإيمان فيه فيربوا إنما هو دراسة أسماء الله الحسنى كما قال شيخ الاسلام **رَحِمَهُ اللَّهُ**: (إن أعظم سورة في كتاب الله سورة الاخلاص وانظر كيف ذكر فيها من أسماء الله الحسنى) لم يذكر فيها شيء آخر مثل ما ذكرت أسماء الله **عَزَّ وَجَلَّ** من أراد تقصير المسافات فعليه بأسماء الله الحسنى دراسة وتمكيناً في القلب لا خلافاً واختلافاً وإثباتاً ونشوراً وعداوة وبغضا،

تأمل جيداً لماذا يأتي اسم الله العزيز الحميد؟ فإنما عزّ المؤمنون بعزّتهم والعبد يلهو على مقدار مولاه علموا أنّ الذي يعبدونه عزيز لا يغالب فما نظروا إلى الطغيان والباطل عبر هؤلاء الجلاوزة إلا نظرة الدؤل لم يقيموا لهم وزناً وإن قاتلوهم وإن حفرّوا لهم الأخاديد لم تتحرك قلوبهم منهم وجلّ ولا خوفاً فنصح ذلك على وجوههم فتألم القوم مثل ما آلموهم لشدة عقيدتهم، فليحيثك تغيظه وعلامة السجود في رأسك تغيظه وجودك في المسجد يغيظه، نقموا منهم لأنهم أعزّوا بعزة الله **عَزَّ وَجَلَّ** ثم يأتي اسم الله الحميد الذي يؤثر التشبّع حين يعلم المرء أنّ الله يستحقّ كلّ المحامد لذاته قبل أن يكون بأفعاله فلو أنّ الله **عَزَّ وَجَلَّ** فلو أنّه قتل كل الذين يحمّدونه وعاش كل الذي يحمّدونه لاستحقّ الله **عَزَّ وَجَلَّ** المحامد كلّها بذاته، فما ثبت في حقه اسم الحميد بعد أن خلق خلقه ولكنه الحميد قبل أن لم يكن شيئاً قبله - سبحانه ومحمده - حين كان ولم يكن شيء كان حميداً محموداً لذاته سبحانه و

عقائد البلاء ٣

بحمده في أنعامه العامّة فلا تجِدُ إلا جاحداً يُنكر نعمة الشمس والقمر والليل والنهار والهواء في السماء ، لا تجِدُ إلا جاحداً يُنكر هذه النعم فالله **عَزَّوَجَلَّ** هو الحميد المستحقُّ لكلِّ المَحَامِدِ فالمؤمنُ قد هَضَمَ هذا إنَّما الكافر لم يهضمه فوقفَ مُعوجّاً وقال: ﴿أَجَعَلَ **الْأَلَهَةَ إِلَهاً وَاحِداً**﴾ [ص: ٥] لا نحمد إلاّه ولا نُنسب الفضلَ إلا له ، لا لا يكون ، أمّا المؤمن فلَمَّا دَرَسَهُ تَشَبَّعَ فصار لا يَأْبَهُ بنعمةٍ أَضِيفَتْ إليه من عبدٍ أو سُلِبَتْ عَلِمَ أَنَّ الامرَ كُلَّهُ ، الله عليه محمودٌ سبحانه وبحمده ، فحينما رأى فيكَ التَّشَبُّعَ انكسر ، انكسر وعلِمَ أَنَّك غَالِبُهُ قال أَهْلُ السَّيْرِ (ما كان الاغنياء في مجلسٍ أحدٍ قَطْ ، أَذَلَّ منهم في مجلسٍ الاغنياء حتى جاء رسولُ أميرِ المؤمنين لسعيد بن المسيب **رَحِمَهُ اللهُ** سيِّدُ التابعين عِلْماً وهو يُلقى درساً على تلامذته ، فأشار له بأصبعه يعنى تعالى :

حَسِبُوا انْتِقَادَ اللَّيْثِ شَيْئاً هَيِّئاً ، وَ مِنْ الصَّعَابِ تَقْلُصُ الْأَسَادِ

أشار إليه بأصبعه فنظر إليه سعيدٌ ثم التفت إلى أصحابه كأن لم يره فأقبل الرجلُ عليه وقال : أميرُ المؤمنين بالباب يُريدُك فقال: اذهب إلى أميرِ المؤمنين وقل له: أَتُكَّ أَخْطَأْتُ أَنَا لا أَذهب لأحدٍ فَذهب الرجلُ إليه فَهَمَّ به فَمَنَعَهُ أصحابُهُ فانكسر ، وآثار هؤلاء كثيرة أيُّها الإخوة آثارُهُمْ كثيرةٌ ومَرِيرَةٌ ، هَذَبَ اللهُ **عَزَّوَجَلَّ** بهم الأُمَّةَ لأجل تَشَبُّعِهِمْ بنعمةِ الله **عَزَّوَجَلَّ** فعلم أنه لا يريدُ شيئاً من أحدٍ ، وعالمُ المغرب أبو سعيد النوري رحمه الله ، أبو سعيد الثوري **رَحِمَهُ اللهُ** أو غيره ، كان جالساً في المسجد ودَخَلَ الطَّاغِيَةُ بُنُ الطَّاغِيَةِ ، دخل ابراهيم باشا بن محمد على ، و كما تعلمون التاريخ الأسود في تقويض أهلِ السُّنَّةِ بالحِجَازِ على أيديهما فدخل الرجلُ عليه في المسجد وكان الامام **رَحِمَهُ اللهُ** باسِطاً رجله فلَمَّا دَخَلَ انكَمَشَ الناسُ وزِعُرُوا وقَامُوا واختَبَثُوا والرجل على حالته فنظر إليه بطرفٍ عَيْنِهِ وقال لصاحبه : مَنْ هذا ؟ قالوا : هو فلانُ بْنُ فلانٍ ، فأخْرَجَ من جَبِيهِ حِفْنَةً من المال كثيرةً ثم أرسل إليه وقال أَرْسِلْهَا لَهُ ، فإن قَبِلَهَا فائِذَنْ لِي لأَقْتُلَهُ ، طب هو ربَّما قَبِلَهَا وقُتِلَ بالسيف وربما قَبِلَهَا أيضاً وقُتِلَ بغير السيف ، لكن أن يذهبَ بَهَاءُ الْعَالَمِ كَأَنَّهُ قُتِلَ ، تَأَمَّلْ فلَمَّا ذهب إليه وأعطاه وقال: إِنَّ ابراهيم باشا قد أرسل إليك هذا المال الوفير الجزيل وإنه يُريدُ خُطْبَ وَدَّكَ فقال: اذهب لسيِّدِكَ وقل له إِنَّ مَنْ مَدَّ رِجْلَهُ لا يَمُدُّ يَدَاهُ ، فأنت ما أَذِلَّتْ لِي إلا لَأَنِّي لا أُمِدُّ اليك يَدِي ، تَشَبَّعَ ، فَكُسِرَ هؤلاء لذا جاء في الحديث أيُّها الإخوة أن حَاشِيَتَهُ قالوا للملك الطاغية : أَتَاكَ ما كُنْتَ تَحْذَرُ طَب مِين الي عَرَفَ الحاشية أنه يَحْذَرُ كما قُلْتَ سَمْتُكَ مُقَصِّصٌ لِلْمُضْجَعِ ، إِنَّ أَحْمَدَ بن حنبل رَفَعَ على خَشْبَةٍ يُضْرَبُ فذَكَرَ أَحْمَدَ وَأَذَلَّ ضَارِبُهُ مع أنه هو الذي يُضْرَبُ لكن من استمسَكَ لا كمن لم يَسْتَمْسِكْ أيُّها الإخوة

ليس مَنْ يجعل العقيدة نَهْجاً كالذي ينتمى إليها شعاراً

فكان الرجلُ يَحْذَرُ كَأَنِّي به يَذْكُرُ ذلك كثيراً ، سيذهبُ المُلْكُ سيأخذُ المُلْكُ في يَقْظَتِهِ ونَوْمِهِ ، إن نام نَظَرَ هل يُؤْخَذُ المُلْكُ أو لا ؟ فكان ذلك عذابٌ وكُسِرَ نفسُ حَمَلِ الرجل على نِقَمَتِهِ تلك ثم تَأْتِي بعد ذلك حقيقةٌ أخرى لكن هي التي أُذِيلُ عليها في الخطبة الثانية أسأل الله **عَزَّوَجَلَّ** أن يجعلني وإياكم ممن إذا دُعِيَ بَادَرُوا وإذا نُهِجِي انْتَهَى وعَقَلَ مثواه فهدى لنفسه وأقول قولي هذا و استغفر الله العظيم لى ولكم ..

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي لم يزل حكيماً عليماً و صلى الله وسلم و بارك على محمد الذي أرسله ربه إلى الناس بشيراً و نذيراً و على آل محمد و صحبه و سلم تسليماً كثيراً

إِذْ نَفَقُوا فَيَقْمُونَ مِنْكَ يَنْقُمُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، يَحْسُدُونَهُمْ عَلَى طَاعَتِهِمْ فَحَمَلَهُمُ الْحَقْدُ وَ الْحَسَدُ عَلَى تِلْكَ الثَّقَمَةِ الْعَظِيمَةِ وَ النَّصْرَةَ عَلَيْهِمْ بِتَمَسُّكِكَ بِمَا حَسِدْتَ بِهِ ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨] الذي يَتَشَبَّعُ الْمَرْءُ بِذِكْرِ آلَائِهِ وَ نِعَمَائِهِ وَ يَعِزُّ بِعِزَّتِهِ فَلَا يَقْبَلُ الدَّيْنَةَ فِي دِينِهِ .

ثم دَلِّلَ فِي شَرْحِهِ ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [البروج: ٩] له ملك السماوات و الأرض و في ثَنَائِيَا هذه الْمَسِيرَةِ يُبَيِّنُ لَكَ وَاضِحاً جليلاً أن له ملك السماوات و الأرض بأى شَيْءٍ؟ بِإِرَادَتِهِ الْمَاضِيَةِ الْقَاضِيَةِ عَلَى كُلِّ إِرَادَةٍ ، فَتَرَى هَؤُلَاءِ يَكِيدُونَ وَ يُحْبِكُونَ شَوْفَ الرَّجُلِ جَاءَ بِهِ وَ ذَهَبَ بِهِ إِلَى الْبَحْرِ وَ عَادَ وَ ذَهَبَ بِهِ إِلَى الْجَبَلِ وَ عَادَ وَ كُلُّ ذَلِكَ يُحْطِطُ لَهُ فَوْجِدَ نَفْسِهِ قَدْ وَقَعَ فِي حَيْصٍ بَيِّصٍ وَوَقَعَ فِي خِيَّةٍ لَا يُخْرَجُ مِنْهَا أَبَداً، قَدْ لَبَسَ الشِّرَاكُ فِي عَقَبِهِ حِينَما وَصَلَ التَّهْيَاةَ فَوَجِدَ أَنَّهُ إِنْ أُرْسِلَ لِيُقْتَلَ لَمْ يُقْتَلَ فَيَعُودُ وَ يَثْقُ النَّاسُ فِيهِ أَكْثَرُ ثَمَّ إِنْ أَرَادَ أَنْ يَقْتُلَهُ بِيَدِهِ لَا يَقْتُلُهُ فَيَثْقُ النَّاسُ فِيهِ أَكْثَرُ فَلَمْ يَعُدْ إِلَّا كَالْعُوبَةِ وَ دُمِيَّةٍ بَيْنَ يَدَيِ الْغَلَامِ يُوجِّهُهُ كَيْفَ شَاءَ كَمَا دَلَّلْنَا فِي اللَّقَاءِ الْقَائِتِ فِي الشَّهْرِ الْقَائِتِ حِينَ كَانَ الْغَلَامُ يَقُولُ لَهُ حَقَائِقُ بَصِيعَةِ الْأَمْرِ ، خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِكَ مَا هُوَ السَّهْمُ فَيَنْ مَاهُوَ فِي كِنَانَتِهِ ، لَكِنَّهُ يُذِلُّهُ وَ يُعْلِمُهُ أَنَّكَ رَغْمَ أَنْفِكَ تَسِيرُ خَلْفِي لَا مَنَاصَ لَكَ فَمَضَتْ إِرَادَةُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ عَلَى إِرَادَتِهِمْ مَعَ مَا أَحَبَّكَ فِيهِ وَ حَبَّكَ ، وَ التَّارِيخُ يَذْكُرُ حِينَما جَاءَتْ قَوَاتُ الْأَنْزَاكِ ، قَوَاتُ الْأَنْزَاكِ قَوَاتٌ مُخْتَلِطَةٌ مِنْ جَنُوبِ أَفْرِيْقِيَا وَ أَيْرْلَنْدَا وَ غَيْرِهَا جَاءَتْ بَعْدَ الْحَرْبِ الْعَالَمِيَةِ الْأُولَى وَ مَكَثَتْ فِي الْقَاهِرَةِ ثُمَّ أَخَذُوا يَعْبَثُونَ بِمَقَدَّرَاتِ النَّاسِ وَ كَانَ مِمَّا فَعَلُوا أَنْ فَعَلُوا الْقَاحِشَةَ بِالنِّسَاءِ فَلَمَّا وَقَعُوا عَلَى النِّسَاءِ كَانَ الرَّجُلُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ قَتَلُوهُ عَمْدًا وَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ يَسْكُنُونَ وَ لَا يَتَحَرَّكُونَ كَانَ الْقَدِيرُ يُغْلِي حَتَّى أَنَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ انْفَجَرَتْ ثَوْرَةٌ ١٩ لَمَّا تَقَرَّأَ فِي تَارِيخِ هَذَا يَقُولُ أَنَّ هَذِهِ الثَّوْرَةُ مَا خَرَجَتْ إِلَّا لِأَسْبَابٍ كَبِيرَةٍ مِنْهَا السَّبَبُ دَهْ ، الْاسْتِهْتَارُ بِجُرْمَةِ الْمَرْأَةِ وَ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا هَذِهِ الْأَفَاعِيلُ ثُمَّ مَعَ ذَلِكَ صَارَتْ فِي مَسَارٍ آخِرٍ لَمَّا أَخْطَأَ أَصْحَابُهَا وَ أَرْبَابُهَا ، لَكِنْ تَأْمَلْ حَتَّى أَنَّهُمْ بَعْدَ هَذَا الْحَدَثِ جَاءُوا بِجَنُودِهِمْ مَعَهُمُ الْمَيَامِيسُ !! قَالَ عَلِشَانُ لَا تَقْعُ عَلَى نِسَاءِ الْمَصْرِيَّاتِ فَزَلُوا بِهِمْ حَتَّى لَا يَقْتَرِبَ مِنْهُمْ لِأَنَّهُمْ وَجَدُوا هَذَا الْحَدَثَ مَعَ أَنَّ هَذَا الْفِعْلَ يَكْسِرُ الْأَنْفَ لَوْ الْإِنْسَانُ نَظَرَ إِلَى هَذَا يَكْسِرُ عِرْضَهُ لَكِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ أَرَادَ شَيْئًا آخَرَ إِرَادَةُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ مَاضِيَةٌ أَيْهَا الْإِخْوَةَ ، حِينَما قَامَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ فِي يَوْمٍ بَدْرٍ وَقَالَ : يَا قَوْمَ عَلَامَ يَقْتُلُ الرَّجُلُ مِنْكُمْ بَنِي عَمِّهِ وَ بَنِي خَالِهِ !! هَؤُلَاءِ أَقَارِبَائُكُمْ خِلَاصَ الْقَافِلَةِ نَجَتْ نَرْجِعُ فِقَامَ أَبُو جَهْلٍ شَوْفَ هَذِهِ كَانَ نَظَرَةُ النَّاسِ فِقَامَ أَبُو جَهْلٍ وَقَالَ لَا وَاللَّهِ لَا يَكُونُ حَتَّى نَجْلِسَ هَاهُنَا وَ نَشْرَبَ الْحَمْرَ وَ تَعْرِفَ الْقِيَانَ حَتَّى تَعْلَمَ الْعَرَبُ أَنَّنَا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَإِنَّا لَمَنْتَصِرُونَ أَوْ قَالَ كَلِمَةً نَحْوَهَا ، فَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ يَسْمَعُوا لَهُ لِأَنَّ الْكَلَامَ الَّذِي قَالَهُ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ هُوَ يُخَالِطُ قُلُوبَ الْعَرَبِ فِطْرَةَ الْعَرَبِ ، فَكَأَنَّهُمْ وَافَقُوا عُتْبَةَ فِي ذَلِكَ وَ لَمْ يَسْمَعُوهُ جَيِّدًا فَبَجَاءَ بَيْنَ قُتْلِ أَخِيهِ فِقَامَ غَارِيًّا وَقَالَ : وَائْتَرَاهُ فَاسْتَشَاظَ النَّاسُ حَمِيَّةً مَرَّةً أُخْرَى وَ مَضَتْ إِرَادَةُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ بَلْ فِي بَدْرِ نَفْسِهَا كَانَ النَّاسُ يَرِيدُونَ الْغَنِيْمَةَ أَنْ يَرِيدُوا الْقَافِلَةَ وَ أَرَادَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ الْقِتَالَ فَكَانَ مَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ فَتَأْمَلْ جَيِّدًا الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ ، إِنْ تَشَبَّعَ الْمَرْءُ بِهَا هَذَا ، سَقَطَ عَمْرُ الْمُخْتَارِ عَلَى الْأَرْضِ وَ كُسِرَتْ ذِرَاعُهُ وَ كَانَ فِي حَالَةِ إِعْيَاءٍ فَحَمَلُوهُ فِي صَفَرَتَيْنِ لَمْ يُمَهِّلُوهُ بَيْنَهُمَا لَا يَسْتَطِيعُ الْمَرْءُ أَنْ يَتَحَلَّلَ أَحَدُهُمَا ، قَالَ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ حَوْلِهِ مِنَ الْعَسَاكِرِ حِينَما كَتَبَ غَرَاتِسِيَانِي كِتَابَ الْبُرْقَةِ الْهَادِيَّةَ قَالُوا : فَمَا كَانَ يُرِيدُنَا إِلَّا أَنْ الرَّجُلُ فِي قِمَةِ الْهُدُوءِ أَيْهِ سَبَبُ هُدُوءِهِ !! لِأَنَّهُ يَعْلَمُ يَقِينًا أَنَّ اللَّهَ لَهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ فَلَمْ يَتَحَرَّكَ غَرَاتِسِيَانِي وَ لَا جُنْدُهُ حَرَكَةً وَ لَا يَسْكُنُونَ سَاكِنَةً إِلَّا إِذَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ لَذَلِكَ قَالَهَا لِلطَّاعِيَةِ وَ قَدْ هَزَّ كَيْفِيهِ

عقائد البلاء ٣

حين قال سأقتلك قِتْلَةً يتحدث الناس بها قال إنك لن تفعل إلا ما أَرَادَهُ اللهُ **عَزَّوَجَلَّ** فقال بعد أن حُكِمَ عليه بالإعدام نظروا إليه فوجدوه في غَايَةِ الثَّبَاتِ وقال كلمة واحدة قال: (مَكْتُوب) فَلَمَّا رَفُوهُ إِلَى الْمَشْنَقَةِ كَانَ يُودَّنُ فَشَنَّقُوهُ مَرَّتَيْنِ لَمْ تُفْلَحِ الْأُولَى مَعَهُ وَأَفْلَحَتِ الثَّانِيَةُ ، وَمَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ يَتْلُو كِتَابَ اللهِ **عَزَّوَجَلَّ** تَعْمِيقُ الْعَقِيدَةِ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ تَعْمِيقُ الْعَقِيدَةِ هُوَ نَصْرٌ مُؤَزَّرٌ مُعَجَّلٌ ، الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ حَقِيقَةٌ ﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [البروج: ٩] قال العلماء : أَى شَاهِدًا عَلَيْهِمْ وَهُوَ مِنْ مَعْنَى اسْمِ اللهِ الشَّهِيدِ سَيَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا بِالْمُؤْمِنِينَ هَذَا وَإِذَا مَا كَانَتْ قَضِيَّةٌ فِي دُنْيَانَا وَقُلْتُ لِلْمُتَّهَمِ فِيهَا إِنَّ الشُّهُودَ قَدْ حَضَرُوا وَشَهِدُوا عَلَيْكَ فَتَرَوْا عِلْمَ أَنَّ الْأَمْرَ صَارَ ضِدًّا عَلَيْهِ وَالشَّاهِدُ فِي الدُّنْيَا يَشْهَدُ أَمَامَ جَهَةِ تَقْضَى رَبِّمَا قَضَتْ بِغَيْرِ شَهَادَتِهِ لَكِنْ كَيْفَ بِكَ وَأَنْتَ أَمَامَ الَّذِي سَيَشْهَدُ عَلَيْكَ وَيَحْكُمُ عَلَيْكَ مَوْقِفٌ عَظِيمٌ جَدًّا وَقَضِيَّتُكَ نَاجِحَةٌ بَسْ لِمَا تُؤْمِنُ ثُمَّ بَيَّنَّ اللهُ **عَزَّوَجَلَّ** أَنَّ النَّاسَ لَيْسَ لَهُمْ أَسْمَاءٌ إِلَّا صَاحِبُ نَارٍ وَصَاحِبُ جَنَّةٍ فَقَطْ مَفِيشُ أَسْمَاءٍ أُخْرَى مَفِيشُ رُتَبَةٍ أُخْرَى مَفِيشُ مَنْصِبٍ أُخْرَى مَفِيشُ أَى كُنْيَةٍ أُخْرَى إِلَّا صَاحِبُ جَنَّةٍ وَصَاحِبُ نَارٍ وَهَذِهِ حَقِيقَةٌ أَيْضًا يَنْبَغِي أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ فِي مَسَارِ الْإِعْتِقَادِ فِي سِيرِكَ إِلَى اللهِ **عَزَّوَجَلَّ** مَفِيشُ مَنْطِقَةٍ رَمَادِي إِنْ أَحْنَا نَقُولَ وَاللَّهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا فَذَاكَ وَأَنَا مُمْكِنٌ أَكُونَ وَاقِفٌ فِي الْمُنْتَصَفِ مَيْنَفَعُشْ إِنَّمَا هُوَ إِمَّا جَنَّةٌ وَإِمَّا نَارٌ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴾ [البروج: ١٠] حَقِيقَتَانِ أَخْتِمُ بِهِمَا قَالَ اللهُ **عَزَّوَجَلَّ** وَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿ [البروج: ١٠] يَذُكُّ عَلَى أَنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ لِأَنَّهُمْ أَحْرَقُوهُمْ فَأَحْرَقَهُمْ ، عَذَّبُوهُمْ يُعَذِّبُهُمْ ، قَتَلُوهُمْ بِالسَّيْفِ يُقْتَلُونَ بِالسَّيْفِ قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ (وَاللَّهُ مَا عُدْتُ أَنْتَحُدَ فِي أَحَدٍ قَطٌّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ أَنْ سَمِعْتُ مَا قَالَهُ أَبُو حَازِمٍ قَالُوا وَمَا قَالَ أَبُو حَازِمٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ: أَتَانِي يَوْمًا فَقَالَ إِنِّي قَدْ مِتُّ وَأَنَا قَدْ سَاءَ رَأْيِي فِي الْحَجَّاجِ فَقَالَ: إِنِّي قَدْ نَمْتُ فَرَأَيْتَ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ كَأَنَّ جِيفَةً فِي رَجِيعِهَا عَلَى الْأَرْضِ فَقُلْتُ لِبَعْضِ الْمَلَائِكَةِ مَنْ هَذَا فَقَالَ الْخَنَسَةُ بِرَجْلِكَ يُجْبَرُكَ فَتَخَسُّهُ بِرَجْلِي قُلْتُ مَنْ أَنْتَ قَالَ : أَنَا الْحَجَّاجُ لَا يَظْهَرُ لَهُ وَجْهٌ مِنْ قَفَا وَمِنْ عِلْمٍ أَنَّ اللهُ **عَزَّوَجَلَّ** أَخَذَ كُلَّ بَجَرِيْرَتِهِ أَطْمَأَنَّ قَلْبُهُ هُوَ سَعِيدٌ بِنِجْبَرِ قَالِهَا لِلْحَجَّاجِ قَالَ: سَأَقْتُلُكَ يَا سَعِيدُ قِتْلَةً يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِهَا قَالَ يَا سَعِيدُ اخْتَرِ لِنَفْسِكَ قِتْلَةً أَقْتُلُكَ بِهَا فَقَالَ بَلْ اخْتَرْتُ أَنْتَ لِنَفْسِكَ يَا حَجَّاجُ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَقْتُلْنِي الْيَوْمَ بِقِتْلَةٍ إِلَّا قَتَلْتُكَ اللهُ بِمِثْلِهَا بِالْطَّبْطِ قُلْتُ أَنْتَ الْحَجَّاجُ قَالَ نَعَمْ قُلْتُ مَا فَعَلَ اللهُ بِكَ قَالَ قَتَلَنِي بِكُلِّ قِتْلَةٍ قَتَلْتُ بِهَا أَحَدًا إِلَى شَقَّقْتُ لَهُ الْقَصَبَ وَسَحَبْتُهُ عَلَيْهِ كَمَا فُعِلَ بِأَهْلِ الْعِلْمِ فَانْتَحَلَ جُلُودَهُمْ فَانْتَحَلَ اللهُ جِلْدَهُ بَسْ جِلْدُ مَيْنِ الْجِلْدَةِ هَذِهِ إِلَى هِيَ مِلِّمِتْرَاتٌ لَا دَا جِلْدَتُهُ مَسِيرَةُ خَمْسَمِائَةِ عَامٍ شَوْفٌ دَى لِمَا تُنْتَحَلُ مِنْ أَعْصَابِهَا وَبِإِحْسَاسِهَا كَيْفَ يَشْعُرُ مِنْ عَذَابٍ ، فَإِنَّهُ لَا يُعَذَّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقُهُ أَحَدٌ سَبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ . قَتَلْتُ بِكُلِّ شَيْءٍ قَتَلْتُ بِهِ مُؤْمِنًا فَالْجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ فَلْيَطْمِئِنَّ قَلْبُكَ وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ الظَّلْمَ مِمَّا تُعَجَّلُ عَاقِبَتُهُ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ قَالَ اللهُ **عَزَّوَجَلَّ** ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا ﴾ [البروج: ١٠] فَجَاءَتْ هَذِهِ إِعْتِرَاضِيَّةٌ شَوْفٌ كَيْفَ خَرَجْتَ فِي ضَمَنِ إِطَارٍ وَأَنَا أُنَبِّئُ عَلَى هَذَا لِأَنَّكَ إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَدْعُوا ظَالِمًا فَرِيْمَا كُنْتُ لَهُ مُعِينًا وَاسْمِعْ هَذِهِ الَّتِي أَخْتِمُ بِهَا جَيِّدًا كَيْفَ تَكُونُ لَهُ مُعِينًا ؛ بَأَن يَقْرَأُ الْمَرْءُ مِثْلًا مِنْ يَكْتُبُ مَقَالًا يَقُولُ لَا تَجْعَلُوا الْعَاصِيَ طَاقِيَّةً وَحَرِّضُوهُ عَلَى التَّوْبَةِ حَتَّى وَإِنْ كَانَ قَدْ زَنَا كَثِيرًا وَقَتَلَ كَثِيرًا وَ مَهْمَا كَانَ عَدَدُ الَّذِينَ فَعَلَ الْفَاحِشَةَ فِيهِمْ أَوْ قَتَلَ فِيهِمْ لَا مَا هَكَذَا تُرَادُّ الْإِبْل ، لِأَنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِي هَذَا الْإِطَارِ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ تَأْتِي مُعْتَرِضَةً ﴿ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ﴾ [البروج: ١٠] يَبْقَى دَا أَنَا لَا أَتَبَرَّعُ لَهُ بِالتَّوْبَةِ وَإِنَّمَا يُقَالُ لَهُ قَدْ فَعَلْتَ وَفَعَلْتَ وَهَذِهِ تُؤَدِّي بِكَ إِلَى قَعْرِ جَهَنَّمَ فَإِنْ تُبِتَ إِلَى اللهِ **عَزَّوَجَلَّ** وَأَنْبَتَ وَقُمْتَ بِشَرَائِطِ التَّوْبَةِ النَّصُوحِ عَفَا اللهُ **عَزَّوَجَلَّ** عَنْكَ لِذَا يَرَى الْمَرْءُ أَنَّ مِثْلَ هَذَا مِنَ السَّمَاخَةِ أَنْ يُقَالُ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْضِعِ فِي دَعْوَةِ أَوْلَئِكَ تَأْمَلُ جَيِّدًا فَإِنَّكَ إِنْ سَهَلْتَ لَهُ التَّوْبَةَ سَهَلْتَ لَهُ الْفَوَاحِشَ ، أَفْعَلْ وَثُبْ وَلَا بَأْسَ ، أَفْعَلْ وَتَعَالَى لِي وَأَنَا عِنْدَهَا أَتُوبُكَ ﴿ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَهُمْ عَذَابُ

عقائد البلاء ٣

الحريق ﴿البروج: ١٠﴾ تأمل جيداً ثم تأتى بعد هذه الحقائق عقائد الابتلاء التى ينبغى أن يقوم المرء بها ليدرى كيف يتصرف إذا ما نزلت به فتنةٌ، لكنَّ هذا هو الذى نُذيل عليه إن كتب الله **عَزَّوَجَلَّ** لنا ذلك فى الشهر المقبل إن شاء الله **عَزَّوَجَلَّ** أيها الإخوة، إياك أن تنسَ أن أصحابَ الأخدودِ نوعٌ وليسوا كَمَّا فقط، كانوا نوعاً من المؤمنين و كنا نتعاهد على مُضَيِّ الشهرين الفائتين أن أرجع و تَرْجِعُون إلى بيوتنا، وينظر الرجل مِنَّا فى أعماله هل صارَ مُؤمناً نوعياً نوعٌ من المؤمنين، صفوةٌ من الصفوة، بقيَّةٌ من البقايا الذين مَدَحَهُمُ الله **عَزَّوَجَلَّ** أم هم مِمَّنْ يخوضوا مع الخائضين - نسأل الله **عَزَّوَجَلَّ** أن يقينا وإياكم الفتنة ما ظَهرَ منها وما بَطَنَ اللَّهُمَّ قِنَّا الفتنة ما ظَهرَ منها وما بَطَنَ اللَّهُمَّ اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين اللَّهُمَّ انصرنا على القوم الكافرين اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَأَهْلِهِ وَمِنَ التَّفَاقُ وَأَهْلِهِ وَمِنَ الظُّلْمِ وَأَهْلِهِ اللَّهُمَّ ادْفَعْ عَنِ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَّا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَحِمِ ظُهُورَهُمْ أَحْرِزْ نَفُوسَهُمْ تَقَبَّلْ قِتْلَاهُمْ فى الشهداء أنت أرحم الراحمين اللَّهُمَّ اغفر وارحم واعفُ وتكرم وتجاوز عن ما تعلم إنك أنت الله الأعزُّ الأكرم وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمدٍ والحمد لله رب العالمين .